المسامحة لمن نقص عرضه وما ذكرناه قدر زائد على ذلك وقد ذكر الله تعالى المال والعرض والنفس في
سياق واحد فقال تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وحكي عن سيدي أحمد بن الرفاعي
رضي الله تعالى عنه أن شخصا مشى وراءه وصار يلعنه ويسبه والشيخ لا يلتفت له فقال له الخادم يا سيدي
أما تسمع ما يقول لك فقال وماذا يقول هذا شخص تصورت له نفسه بصفات ذميمة فهو يسب تلك
الصفات ولست أنا بحمد الله موصوفا بها ولعل الشيخ أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم ألا تنظرون
ما دفع الله تعالى عني بسبب قريش يذمون مذمما وأنا محمد بن عبد الله ورسول الله والمعنى صحيح لانهم
شتموا أصنافا مذمومة في مذمم ورسول الله صلى الله عليه وسلم صفاته محمودة في محمود لا تتصف بها
صلى الله عليه وسلم فعلم أنه لا يتحلى بهذا الخلق الأمر الأكرم عباد الله لا لعلة أخرى كما تقدم بسطه
أوائل الباب الثاني وقد حكى الشيخ عبد الغفار القوصي أن ذلك كان من خلق الشيخ محيي الدين بن العربي
رضي الله تعالى عنه فقال حدثني الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ عبد العزيز المنوفي عن خادم الشيخ
محيي الدين رضي الله عنه أن شخصا بالشام كان أوجب على نفسه أن يسب الشيخ محيي الدين
ويلعنه عقب كل صلاة عشر مرات فلما مات ذلك الشخص خرج الشيخ محيي الدين لجنازته فصلى عليه
وحضر دفنه فلما رجع عزم عليه بعض أصحابه أن يأكل عنده شيئا فلما دخل بيته وقدم إليه الطعام
صار الشيخ مبهوتا من بكرة النهار إلى صلاة العشاء لا يهتدي سوى الصلاة ثم يبهت واحد صاحب
الطعام من ذلك أمر وظن أن الشيخ لم ير طعامه حلالا أو نحو ذلك فلما صلى العشاء الأخيرة ضحك
وتبسم وأكل فقيل له في ذلك فقال قد كنت عزمت في نفسي إن مات ذلك الشخص أني لا آكل ولا أشرب
حتى يغفر الله له من جهة سبه لي إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه من أمته ثم عملت له سبعين
ألف لا إله إلا الله وأهديتها في صحائفه فلما غفر الله تعالى له ضحك الشيخ وأكل انتهى قال الشيخ عبد الغفار
القوصي وحكى لي الإمام المحب الطبري شيخ الحرم عن والدته أنها كانت تنكر على الشيخ محيي الدين
أمورا تسمعها عنه فقال لها ولدها الإمام لا يجوز لك يا أمي الإنكار إلا إذا سمعتيه يتكلم وأما
إذا سمعتي شيئا من أصحابه فلا يجوز لك الإنكار على الشيخ لأن ذلك ليس من العدل ولا من الشرع ثم
نامت تلك الليلة فرأت الكعبة تطوف بالشيخ محيي الدين حجرا حجرا ثم عادت والتأمت
فاستغفرت وتابت وكان شيخنا شيخ الإسلام زكريا رضي الله تعالى عنه يقول جميع ما نسب إلى
الأشياخ مما يخالف ظاهر الشرع قل أن يسمعه أحد منهم وإنما ذلك من أتباعهم لقصورهم في فهم
ما فهموا من كلام الأشياخ شيئا أخطأوا في فهمه فاللوم عليهم لا على الأشياخ قال تعالى ولا تزر وازرة
وزر أخرى انتهى فاعلم ذلك واعمل على تخلقك بهذا الخلق العظيم والحمد لله رب العالمين
ومما أنعم الله تعالى به علي وصولي بحمد الله إلى مقام في الإيمان الغيبي لم أر أحدا من الأقران تخلق به
إلا قليلا بحيث لو كشف عني الغطا ما ازددت يقينا كما وقع للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فكان جميع ما ورد أنه يقع في الآخرة نصب عيني من الآن لا أزداد يقينا لقيام الساعة إنما
تقع الزيادة في الوضوح فقط مثاله الشمس إذا ظهرت من ورا ستاير السحاب الرقيق
ثم إن السحاب انقشع عن الشمس فإنك يا أخي لا تزداد يقينا في أنها الشمس بانقشاع
السحاب عنها إنما تزداد وضوحا فقط وكذلك العروس إذا جليت بخمار رقيق كالشعار
الرقيق على الحاضرين ثم إن ذلك الحجاب كشف عنها فإن الحاضرين لم يزدادوا يقينا في أنها
العروس إنما ازدادوا وضوحا ومع وصولي في اليقين بحمد الله تعالى إلى هذا الحد فأنا خائف

من

اللهم يا رب إني أعوذ بك منك في سوء الخاتمة يا رب حسن الخاتمة إلا ما تجود لي بها واجعلها بعصمة

من سوء الخاتمة كما درج عليه الأكابر الذين لا أصلح أن أكون تلميذا لهم وقد قيل مرة للجنيد هل أنت خير أم الكلب
فقال أمري غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ولكن إن دخلت النار فالكلب خير مني وإن دخلت الجنة فأنا خير من الكلب
وقد ورد عن المسيح عليه السلام أنه قال للحواريين أنتم تخافون الذنوب ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر انتهى
وقد روي أن الخضر عليه السلام سأل فقال يا رب إنك لرب عظيم ولو أنك شئت أن تطاع لأطعت
ولم يعصك أحد فكيف هذا فأوحى الله تعالى إليه لئن لم تنته عن مسألك هذه لأمحون اسمك من ديوان النبوة
انتهى ولا يقال كيف يصح محوه من ديوان النبوة مع وجود العصمة وما وعد الله به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لأنا نقول إن مقدور الله تعالى حضرة تسمى حضرة الإطلاق يفعل منها ما يشا ولا حجر عليه في مشيئته إذ
الحجر عليها محال والحكم لا حكم على حاكم كما لا حكم العلم على عالمه وكما لا حكم المخلوق على خالقه قال تعالى
قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا وورد مرفوعا لو
يؤاخذني الله تعالى وعيسى بن مريم بما جنت هاتين يعني الإصبعين لعذبنا ثم لم يظلمنا شيئا انتهى
ولذلك ورد الاستثنا في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك وليس فيه
الجزم بشي من وجه القدرة الإلهية إنما الجزم بذلك من وجوب الإيمان بعدم خروج أهل الدارين
منها فإنه تعالى إنما استثنا ليعلمنا طريق الأدب معه فأخبرنا بما له فعله وإن لم يفعله فله فعله
وقد كان سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول يصل الولي إلى مقام يعرف منه أنه شقي أو سعيد
ولكن رأيت أنا في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله قال رأيت آدم عليه السلام في واقعة
من الوقايع ونظرت إلى نسب بنيه الذين هم السعدا فرأيت نفسي فيهم انتهى ومثل هذا لا ينتج
فيما ذكرناه من عدم الطمأنينة وخوف سوء الخاتمة مع أن رؤية الشيخ محيي الدين كانت في عالم
المثال والخيال لا يوثق به في شي إلا إن كان صاحبه معصوما فعليك يا أخي بالخوف من الله تعالى
ما عشت والحمد لله رب العالمين ومما أنعم الله به علي إجلالي لحانوت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى
كلما مررت عليه بعد موته وربما أخذني عند رؤيته هيبة كهيبة دخول المسجد المعظم وقد بلغنا
عن الشيخ أبي بكر الشبلي أنه كان يحصل له الرعدة إذا مر على حانوت الجنيد الذي كان يبيع فيه القوارير
ودخله يوما محدثا فكاد أن يذوب من الهيبة وهذا أمر قليل من المريدين من يفعله مع شيخه
في هذا الزمان وقد كان سيدي علي الخواص عنده إبريق كبير يسقي منه المكروب ويقول للمكروب اشرب
وإن والله يزول عنك ما أنت فيه من الكرب فيفعل فيزول الكرب لوقته فقلت له يوما ما خصيصة
هذا الإبريق فقال إنه يرد عليه كل يوم الأربعون من رجال الله فيشربون منه انتهى فمن روحانية
الولي إذا دخل مكانا أو مشى في أرض تبقى تلك الروحانية في ذلك المكان ستة أشهر كما يشهده
أرباب القلوب فكيف بالمكان الذي كان مسكن الولي ليلا ونهارا وهذا بعكس بيوت العصاة والظلمة
فإنك تجد بها وحشة لا أنس فيها ولا روحانية وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول كل
فقير لا يدرك سعادة البقاع وشقاوتها فهو والبهائم سوا وسمعته يقول من الأماكن التي
يظهر فيها الروحانية لجالب الناس في قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه وضريح ذو النون المصري
وقبور السادة الوفائية وجامع محمود وزاوية سيدي مدين وجامع الملك الظاهر وجامع
باب الكرك خارج الحسينية فهذه الأماكن لم يزل النور طالعا فيها وذلك لكثرة من يرد عليها من
الأوليا والملائكة فينبغي لداخلها أن يزيد في الأدب والإطراق قال ومن الأماكن التي لا تظهر
نورانيتها إلا للخواص القطعة من الشارع المقابلة لسوق الكتبيين وأنت ذاهب إلى باب الزهومة
والقطعة المقابلة لجامع الفاكهانيين داخل باب زويلة والقطعة المقابلة لميضاة جامع الميدان دمي

اللهم إني أعوذ بك منك

Copyright ... University